الواقعية في الأدب الإسلامي
(دراسة نقدية مقارنة بالمدارس المعاصرة)

✍ . د. عبد الله محمد الأمين أحمد (★)

مقدمة :

الحمد لله خير ما تُستهلَّ به الأقوال والأفعال، والصلاة والسلام على أفصح الناطقين الضاد قاطبة، وعلى آله وأصحابه والتابعين الذين كانوا سُرجُاً منيرة في سماء الإسلام ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

إنّ الأدب الإسلامي من أغزر أنواع الأدب نتاجاً ، وأجودهم حرفة، وأصفاهم تصوّراً، ومع ذلك لم يلق حظه من العناية والمتابعة والدرس والتحليل.

وقد تناول البحث مفهوم الواقعية في الأدب الإسلامي، ومقارنتها بالواقعية الأوربية التي تعنى بوصف التجربة كما هي؛ كما تناول البحث أيضاً الواقعية الاشتراكية التي تصوّر الشر مع دواعي الأمل في التخلص منه فتحاً لمنافذ التفاؤل حتى في أحلك المواقف ولو أدى ذلك إلى تزييف الموقف، ثم تمت المقارنة بين تلك الواقعيات والواقعية الإسلامية التي تنطلق من مفهوم الإسلام الذي يرفض التشاؤم ، كما أنه يرفض التفاؤل الذي يقوم على الخداع أو التزييف، إلى جانب أنها واقعية تستقي مادتها من الحياة بكل أشكالها، وتصور مشكلات العصر على إطلاقها، وتصور النفس البشرية التي تجعل الإنسان في صراع دائم ما بين وحدة الطينية وقمة الملكوتية والواقعية الإسلامية من هذا المنطلق تمثل الصلة الفكرية والتطبيقية لمفهوم الأدب الإسلامي حيث تحقق الغاية الخلقية والفنية لعملية الإبداع الأدبي.

وتكمن أهمية هذا البحث في أنه يجلو الحقيقة من خلال بيان الفروق بين الواقعية الأوربية والواقعية الإسلامية في الأدب شعراً كان أم رواية أو قصة أو

(★) أستاذ الأدب والنقد المشارك بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية – كلية اللغة العربية-معار إلى المملكة العربية السعودية.

مسرحية، كما أنه يركز على الدراسة التطبيقية التي ظلت متواضعة إذ إن معظم الباحثين قد ركزوا على الدراسات النظرية أكثر من التطبيقية.

وقد جاء هيكل البحث في تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، أما التمهيد فقد تناول مفهوم الواقعية في الأدب الإسلامي ومقارنته بالواقعية الأوربية مع إيراد بعض النماذج التطبيقية ، وأما المبحث الأول : فقد خُصص للواقعية في الشعر الإسلامي، والمبحث الثاني : فقد وقف على القصة الإسلامية مع ذكر نموذج تطبيقي؛ وأما المبحث الثالث والأخير فقد تتبع النشاط المسرحي الإسلامي المعاصر، مع خاتمة وبعض النتائج والتوصيات .

والله اسأل أن يكون فيما كتبت بعض الفائدة ، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

تمهيد :

مثلما عاد الإسلام يتميز من جديد- نظاماً وحياة- عاد كذلك الأدب الإسلامي يشق طريقه الفذ شعراً ونثراً ونقداً أدبياً ودراسات تطبيقية[1].

بهذا القول زَيّن محمد الحسناوي موضوعه الذي جاء بعنوان : مكتبة الأدب الإسلامي والذي صدره بسؤال كبير . ما الأدب الإسلامي الذي نتناول مكتبه؟ فكانت الإجابة : هو التعبير الموحي عن قيم الإسلام الحية التي ينفعل بها المسلم، وتنبثق عن تصور الإسلام للحياة، والارتباطات فيها بين الإنسان والله تعالى، وبين الإنسان والكون، وبين بعض بني الإنسان .

وعلى ضوء هذا التعريف المحكم نجدنا أمام نتاج خصب ضخم، يمتد في الزمان والمكان، من ظهور الإسلام حتى يومنا هذا، وفي الأدب العربي وغير العربي، كالفارسي مثلاً، كما يتجلى في مختلف الأنواع والفنون الأدبية من شعر وقصة ومسرح، ومقالة، وخطبة، ورحلة، وسيرة، ونقد أدبي ودراسة .

ولسنا هنا في هذه الوريقات بصدد الوقوف على هذا الحيز الكبير. بل سوف نقف على جزء يسير منه وهو النقد الأدبي في مسمى (الواقعية) في الأدب الإسلامي مع الحرص على الابتعاد والتحرر من أسر المصطلح الغربي، الشديد

(1) في الأدب والأدب الإسلامي-محمد الحسناوي: المكتب الإسلامي-بيروت، ط1، 1986، ص12

التحكم بلغتنا النقدية في عالمنا العربي المعاصر.

وأما الواقعية تلك المدرسة النقدية الغربية الحديثة "قد جاءت نتيجة لإسراف الابتداعيين في مذهبهم الذاتي إسرافاً شديداً، بعد أن جنحوا إلى صيغ أدبهم وشعرهم بصيغة الحزن والكآبة والهروب من الواقع، مما مهد لقيام جماعة تنادي بمشاركة الأدب والشعر للمجتمع مشاركة صحيحة فعالة طبق الواقع المشاهد"[1] .

فكان هذا إيذاناً بظهور المدرسة الواقعية في الأدب، وتجدر الإشارة إلى أن أسماء الواقعية قد كثرت كثرة مفرطة لم تحظ بها مدرسة أدبية أخرى "وكان أن كثرت أسماء الواقعية وتعريفاته. فوجدنا عشرات الواقعيات يدعو إليها أصحابها، ويستقلون بها عن الواقعية الأم) [2] .

والمقصود بالواقعية الأم المذهب الواقعي المرتبط بالفكر الإلحادي الماركسي، وقد جاءت واقعيته في ثلاثة أنواع: "واقعية مظهرية تهتم بمظاهر الحياة المادية، وتعرض الإنسان مخلوقاً يتأثر بالبيئة ويتجاوب معها، وواقعية شاملة، تتناول الواقع أو شريحة من الواقع.. وهي تهتم بالنواحي الاجتماعية.. وقد ظهرت هذه الواقعية في أعمال قليلة من القصة القصيرة والرواية والمسرحية من مثل بعض قصص يوسف إدريس والسباعي.." [3] .

وقد ساير بعض الشعراء العرب هذا الاتجاه الواقعي مثل محمد كمال عبد الحليم ومحمود حسن إسماعيل وأمل دنقل ومحمد إبراهيم أبو سنَّة، وقد احتضنت هذه المدرسة الشعر الحر فظهر صلاح عبدا لصبو ر في ديوانه (الناس في بلادي) [4] . وقد صنفت الدكتورة رشيدة مهران في كتابها (الواقعية واتجاهاتها في الأدب العربي الحديث)- الفيتوري رائداً للواقعية الاشتراكية في الأدب العربي المعاصر.

والنوع الثالث: الواقعية المحولة: التي تعرض الحياة عرضاً مادياً بما فيها من قبح وفحش وغريزية.

---

(1) مدارس النقد الأدبي الحديث، د.محمد عبد المنعم خفاجي، الدار المصرية، ط2، 1995م، ص167

(2) الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد-د.أحمد بساعي ساعي- دار المنار للنشر، السعودية- جدة- ط 1- 1983- المقدمة.

(3) مدارس النقد الأدبي- د. محمد عبد المنعم خفاجي- الدار المصرية- ط2- 1995- ص168

(4) المصدر السابق ص17

والواقعية الإسلامية تختلف عن هذه الواقعية البائسة في نقطتين أساسيتين:
أولاً : طبيعة تصوّرها للإنسان، وموقفه من الله والكون والحياة، وموقفه من أخيه الإنسان.
وثانياً : طريقة تسجيلها "للقطات" البشرية التي تختارها للتعبير الفني[1] .
إذن فالإنسان في نظر الإسلام إنسان ، لا هو بالحيوان ولا هو بالملاك .
وهو أيضاً مخلوق ليس شراً خالصاً ولا خيراً خالصاً، وإنما فيه الاستعداد للخير والشر، وفيه القدرة لأنه يسير في هذه الطريق أو تلك ﭽ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ﭼ[2] [سورة الشمس : 7-10] .

والإنسان فهو قبضة من الطين، ونفخة من الروح فإذا انحصر في لذاته ونزواته فالطينية قد طغت على الملكوتية، وإذا سما بروحه فقد ارتفعت الملكوتية على الطينية.

وأما الواقعية الإسلامية فهي لا تنكر أن حالات الهبوط هذه واقعة، ومع ذلك فهو لا تمجدها ولا تسلط عليها الأضواء، لأنها لحظات هبوط، ولهذا فالواقعية الإسلامية لا ترسم صورة مزورة للبشرية، صورة بيضاء من كل سوء، نقية من كل شائبة، سليمة من كل انحراف، كلا! فما هكذا يقول القرآن ذاته الذي يدعو للرفعة الدائمة، والمحاولة الدائبة للتغلب على الضعف!! إنما يقول : ﭽ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ﭼ[3]، ويقول : ﭽ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ﭼ[4] ﭽ ٹ ٹ ٹ ٹ ﭼ[5] ﭽ ڃ ڃ ڃ ڃ ﭼ[6] ﭽ ٹ ٹ ٹ ٹ ﭼ[7] ﭽ ۇ ۇ ۆ ۆ ﭼ[1] ﭽ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ھ ھ

(1) انظر: منهج الفن الإسلامي، محمد قطب ص 46.
(2) الشمس : 7-10.
(3) النساء : 28.
(4) آل عمران : 140.
(5) الأنبياء : 37.
(6) المعارج 19.
(7)إبراهيم : 34.

ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﭼ(2)ﭽ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ

ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ(3)ﭽ ﭿ ﮀ

ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ(4)ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ(5) .

والواقعية الإسلامية يمكن أن تلتقي مع الواقعية الاشتراكية في جوانب متعددة، ولكنها تختلف عنها في الجذور، ولكنهما ينفصلان عند الأساس الأكثر حسماً وهو الأساس الروحي، وما يميز الواقعية الإسلامية عن الواقعية الاشتراكية. أن الأولى ترى بعينها الثاقبة المتزودة بنور الله ما لا يمكن للعلم بأرقامه وحواسيبه وقوانينه الأرضية أن يراه.

* ومن هنا جاءت الواقعية الإسلامية لتكون الرباط السليم المتوازن الذي يجمع بين الأرض والسماء، وبين الطبيعة المحسوسة وغير المحسوسة. وهي التي تنقل الواقع دون تزييف مع العمل على تغيير هذا الواقع: "ويرى أدباء الإسلام ضرورة الربط بين الأدب والأخلاق والمثل، فالأدب من وجهة النظر الإسلامية، يجسد الشر وصراعه مع الخير ويدعو إلى الثقة بالإنسان.. هذه صورة الواقعية.."(6) .

---

(1)الإسراء : 83.
(2)يونس : 12.
(3)هود : 9-11.
(4)الإسراء : 11.
(5)الكهف : 54
(6) مقدمة لنظرية الأدب الإسلام- د. عبدالباسط بدر- دار المنارة- السعودية- جدة- ط1- 1985- ص31

المبحث الأول
الواقعية في الشعر الإسلامي

وبهذا المفهوم فالشعر الواقعي في الإسلام: هو الذي تناول قضايا الأمة الإسلامية مع الإسهام في إصلاح المسلمين أفراداً وجماعاتً وهيئات وحكومات، والشاعر ذو الاتجاه الإسلامي، هو الذي ينطلق من إطار المناسبة ليجاهد بلسانه وقلمه مثلما جاهد الذين من قبله- حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وكجهاد الشعراء المعاصرين كمحمد إقبال ووليد الأعظمي وعمر بهاء الدين الأميري وغيرهم.

ومن الشعراء المعاصرين ذوي الاتجاه الإسلامي أو الملتزمين بالخط الإسلامي الشاعر والمفكر الإسلامي – أحمد محمد جمال، فهو في شعره كما هو في فكره واقعياً ذا روح إسلامية- يمتزج في شعره عمق التائر الإسلامي في المضمون كما نلحظ تأثره الكبير بالقرآن الكريم في الأسلوب يقول: [1]

لكن سأصبر نفسي طوع بارئها * فكل مستدبر يوماً لإقبال

وهو أيضاً من دعاة الواقعية الإسلامية، والالتزام والتمسك بالخلق الرفيع: يقول: [2]

ومُشفقٍ من شبابي أن يعاجله * سَمْتُ المشيب لأقوالي وأفعالي

وساخرٍ من طلاب العلم ليل ضحى * أطال عند طِلابي العلم تَعْذالي

فقلن: ويلكما عُتبَاكما عَجَبٌ * لا أبتغي العمر إلا عمر مِفضال

فراغُ مِثلي في أُولى فتوّته * سبيلُ مأثمةٍ للدين والمالِ

ومن الشعراء من يرى أن الأدب الذي لا يعبر عن قضايا الأمة إنما هو أدبٌ تافه، يقول الشاعر السعودي: سعد البُواردي :"إنني أكفر بكل أدب ذاتي،

(1) الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية- د. عبدالله الحامد- دار الكتاب السعودي- الرياض-ط 2- 1993- ص297

(2) المصدر السابق- ص 298

ولا أرى أدباً إلا ما يخدم الحياة فقط. ولعل أروع ما يصور رسالة الشعر وواقعيته قوله: [1]

أصدح بشعرك لا تسل * وأنثر قصيدك كالأسَلْ

ما الشعر أن تصف الهوى * أو أن تَغرِدَ للقُبل

الشعر خاطر دمعةٍ * هُزِمت ولوعها الخطل

الشعر صيحة تائه * ضلت بزورقه السُبل

الشعر أن تبنى الحيا * ة وأن تُردد صدى الأمل

الشعر إيقاع الحيا * ة وصوت عزتها الأجَل

وواقعية الأدب الإسلامي في تعبيره عن التجارب الشعورية تعبيراً موحياً، والتجارب الشعورية تنتج عن تعامل قلب الأديب المسلم مع ما يدور حوله من مواقف وأحداث.

والأدب –هنا- هو ما ينتجه الأديب شاعراً كان أم ناثراً من نصوص أدبية يعبر بها عن تجاربه الشعورية، أي أنه ذلك الضوء الذي ينتج عن ذلك التفاعل القوي "الاحتراق الداخلي". في نفس الأديب.. ذلك: لأن الأدب تعبير عن واقع الحياة في نفس الأديب، وتصوير لحقيقة روايته للكون والحياة والإنسان، وبقدر عمق هذه الرؤية عند الأديب تكون مقدرته على التأثير في مجتمعه وأمنه إيجاباً لا سلباً[2].

ومن أكثر الصور واقعية وألماً ما نقلته لنا عبقرية الشاعر عبد الرحمن العشماوي عندما شاهد عبر فضائية الجزيرة صورة مؤلمة لكلب ضخم ينهش جثة عراقي وهو ملقى على الأرض، وقد تمت هذه الحادثة أثناء الاحتلال الأمريكي للعراق فصور لنا هذه المأساة، فتحولت القصيدة إلى رثاء الأمة

(1) ديوان-أغنية العودة- سعد البوارده- ص103- دار الإشعاع- الرياض 1963

(2) علاقة الأدب بشخصية الأمة- د. عبدالرحمن العشماوي- مكتبة العبيكان – السعودية- الرياض- ط 2- 2002م ص27،28

الإسلامية كلها يقول مخاطباً الكلب [1].

كل من الجثة فالأمة تؤكل * إنها فرصة عمر لا تؤجل

أمتي، مليارها ما زال يشكو * غفلةً عن عزة المجد المؤثل

كل وكل يا كلب من لحم قتيل * أرضه بالغارة الشعواء تقتل

جثةٌ جهزها رشاش باغٍ * وشواها وإلى نابك أرسل

كل من الجثة فالظالم أعطى * لك حق الأكل والنهش وحلل

لا تخف أنت أقلّ القوم جُرماً * أنت لم تفعل كما الظالم يفعل

أنت لست الآكل الأول منها * فرئيس الفرقة الرعناء أوّل

ونرى شاعرنا يجسد لنا هذه اللوحة الواقعية المؤثرة التي رسمتها يد المحتل في العراق الشقيق، وفيها يعاتب هذا الكلب عتاباً يذكره فيه أنه كان رمزاً للوفاء، فلماذا تحول اليوم عن طبعه، ألا أنه تأثر بالباغي الغاشم وتمثل به- يقول:

أيها الآكل من لحم قتيلٍ * ودع الأوهام والعصر المُضلل

أنت يا كلبُ مثالٌ لوفاءً * فلماذا طبعك اليوم تحوّل

هل رأيت الآكل الغاشم * يسِطو فتمثلت به فيمن تمثل

إنها جثة مَيْتَ ليس فيها * غير سُمّ يقتل الجاني وحنظل

إنها جثة إنسان فهّلا * كنت يا كلب من المحتل أفضل [2]

وهذا النص تحقيق لتعريف النص الأدبي عند محمد قطب رحمه الله. إذ

(1) الالتزام الإسلامي في شعر العشماوي- د.عبدالله محمد الأمين- 2005م- ص88.

(2) المصدر السابق – الصفحة نفسها

يقول: "هو- أي النص الأدبي- تعبيرٌ موحٍ عن قيم حية ينفعل بها ضمير الفنان، هذه القيم تنبثق عن تصوّر معين للحياة، والارتباطات فيها بين الإنسان والكون وبين بعض الإنسان وبعض.." [1].

والعقيدة الإسلامية أفاقها بلا حدود، تفتح المجال واسعاً أمام تجربة الأديب المسلم لأنها ترتبط بعالم الواقع كما ترتبط بعالم الغيبيات، وتلبي حاجة الإنسان الفطرية إلى كل شيء إلى البحث عن الحقيقة، وإلى الصراع مع عوامل الهدم، وإلى النضال الدائم للتعبير نحو الأفضل، وإلى معطيات الأمن والاستقرار، وإلى الركون إلى قوة قاهرة ترعى، وإلى عدالة مطلقة تعيد إلى النفس المضطهدة ما أغتصب منها، وإلى فردوس يحقق الأمن والاستقرار للذات التي فقدت الأمن والاستقرار[2]

ولبيان هذا نسوق مثالاً قصيدة –عمر بهاء الدين الأميري-صرخة ثائر،التي كتبها في ليلة في مدينة كراتشي عندما استيقظ بعد منتصف ليلة في غرفته، هائج النفس، ثائر الشباب، وكان قد تعرض في تلك الأمسية إلى إغراء كبير.ففي القصيدة ذكر إقامته على التقوى في باريس وهو طالب.. وذكر مواقفه في الحج، في مثل هذه الليلة منذ عام مضى.. وذكر ما تعرض له قبل ساعات.وفي غمرة الحيرة وأوار الظمأ- أنشأ هذه القصيدة- قائلاً: [3]

كيف أنجو يا خالقي من شباب

عارم عاصف التوثب ضاري

مستبد بكل ذرات جسمي

مستفزٍ كوامن الأوطار

كلما رمت كبته، ثار جهلاً

(1) في التاريخ فكرة ومنهاج- محمد قطب - دار الشروق- بيروت ص232
(2) مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي- د. عبدالباسط- ص39، بتصرف.
(3) نقلاً عن كتاب منهج الفن الإسلامي- محمد قطب- ص94 وما بعدها.

وتخطى عقلي وأعيا وقاري

فأنا منه، ما كبحت هواه،

في جموحٍ وحدة واستعار

كيف أنجو، وأنه مستقرٌ

في كياني، وفي صميم نجاري

هو من طينتي التي لوثتني

ورمتني فريسة الأقدار

إنه رجعة الصدى لفحيحٍ

لاهب الذات غاشمٍ كفار

إلى أن يقول:

أن يا ويح وقفتي في ديارِ

قدس الله تربها من ديار

خضت هول السماء سعياً إليها

وطويت البحار إثر البحار

وعلوت النجوم في صخب الأنواء

أشرى مر العنا بالنضار

فكأني وقد حللت رباها

جوهر خالص من الأوضار

نقيت من طبيعة القرب نفسي

حين حلّت في روضة المختار

غمرتني أنواره فكأني

عنصرٌ من عناصر الأنوار

وكأني والبيت يشرق حولي

شامخ المجد في سنا الأسحار

ذاب جرمي في ماء زمزم حتى

خلتُني طرت من خلال إزاري

جاوز الروح لي معالم أرضي

فالسماوات والعوالم داري... (1)

وهذه القصيدة طويلة وربما كانت أعنف قصائد الديوان! إنها صورة جسد ملتهبة يتلظى بها كيانه ولا يطيق كبتها، في ليلة عاصفة تكاد تخرج به عن صوابه وضوابطه وكوابحه.. بعد تعرضه لفتنة جائحة-مما أثار فيه أشجاناً وذكريات- تزيد من اضطراب نفسه، وتجعل الصراع مراً عنيفاً لا يكاد يطاق.

والأديب المسلم قد يعيش في واقع لا يجد فيه التطابق بين الواقع والمثال الذي يصبو إليه، فتكون تجربته الشعورية تسعى حثيثاً إلى إنزالها إلى أرض الواقع.. وقد يصيبه نوع من التوتر تحيط به رغبات مكبوتة وهذا النوع من التوتر ما أطلق عليه الدكتور عبد الباسط بدر في كتابه القيم (مقدمة لنظرية

(1) المصدر السابق : ص196

الأدب الإسلامي) بالتوتر العلوي – وهو نوع من التوتر عميق، بعيد الأغوار يعرف هدفه معرفة يقينية، فيسعى إليه حثيثاً ذاخراً بالحب والأشواق، متوسلاً بالمجاهدات ومتزوداً بأقصى قوى الإرادة وأعلى درجات الانفعال. وهنا يصبح توتره مبدعاً سواء أكان منسجماً مع واقعه أم كان منفصلاً عنه- وما قدمناه من مقاطع قصيدة عمر بهاء الدين الأميري أنموذجاً مطابقاً تماماً لهذا القول.

والشاعر في تلمسه للواقع وفي بحثه عن الحلول لا يتيه في سراديب معتمة بل ترتبط التجربة الشعورية للأديب المسلم بعقيدته الإسلامية وتتأثر بثقافتها بقدر ارتباطه بالعقيدة، وأنها واسعة الآفاق يحرّكها توتر بناء يسخو بالعطاء في أعلى صوره وفي كل جوانبه.

وإن السمة الواقعية الواضحة التي تطبع المقومات الفكرية والخيالية واللغوية والموسيقية للنص تقوى من بنائه الفني، وتزيده تمسكاً وترابطاً وإحكاماً، وتقربه من الروح الإسلامية الهادفة للشعر، ونفى به دعوة الإسلام الشعراء إلى التعبير عن واقعهم، وهجر الكاذب من القول.

ولعل من أصدق التجارب الشعرية قصيدة (صرخة امرأة مسلمة من بلاد البوسنة) والتي يمكن أن نقسم خطها الإبداعي على ثلاث مراحل: منبع ومجرى ومصب، أما المنبع فهو الحادثة أو التجربة أو الانفعال الذي فجرّ ملكة الشاعر، ثم دعاها إلى سبك أفكاره وصوره المتولدة عنه في أبيات موزونة، والمجرى هو القصيدة نفسها بعناصرها المكانية والزمانية والفكرية، وأما المصب فهو الأثر الجمالي أو الأخلاقي الذي تتركه بعد ذلك في نفس القارئ أو المتذوق.

وقد وَلدَّت لنا هذه الحادثة السوداء قصيدة بيضاء، وينعكس الانفعال السلبي الذي ولد هذه القصيدة إلى مصباح يضئ لمتذوقيها وجهاً إيجابياً آخر للحياة.

في بلاد البوسنة والهرسك وإبان حرب الإبادة لهذا الشعب المسلم. لم يقف الشاعر عبدالرحمن العشماوي مكتوف اليدين، بل صاغ لنا في ألم ومرارة ما يعانيه هذا الشعب المسلم من إبادة جماعية على أيدي الصرب وأعوانهم، وقد جسد لنا هذا الواقع من خلال رسم صورة حياة امرأة فكانت البداية (صوت) أو

صرخة امرأة تستنجد فيها بالعرب والمسلمين- قائلاً على لسانها: [1]

أنا أيها الأحباب مسلمة طوى * أحلامها الأوباش والفساق

أخذوا صغيري وهو يرفع صوته * (أمي) وفي نظراته إشفاق

ولدي ويصفعني الدعي ويكتوي * قلبي ويحكم بابي الإغلاق

ولدي؛ وتبلغني بقايا صرخةٍ * مخنوقة، ويقهقه الآفاق

ويجرني وغدٌ إلى سَرْدابه * قسراً، وتُظلم حولي الآفاق

ويئن في صدري العفاف،ويشتكي * طهري، وتُغمِض جفنها الأخلاق

ثم يأتيها (الصدى) بهذا الجواب: إن هذه الأمة أصبحت خاضعة ذليلة لا تقدر على التحليق والارتفاع، فقد خارت قواها، وزال تأثيرها، فهي غير قادرة على فعل شيء ولا تستطيع أن تقدم لك شيئاً فكان الله في عونك يقول:

أختاه أمتنا التي تدعونها * صارت على درب الخضوع تُساق [2]

أودت بها قومية مشؤومة * وسرى بها نحو الضياع رفاق

إن كنت تنتظرينها فسينتهي * نفق وتأتي بعده أنفاق

مدي إلى الرحمن كف تضرّع * فلسوف يرفع شأنك الخّلاق

لا تيأسي، فأمام قدرة ربنا * تتضاءل الأنساب والأعراق

وفي هذه القصيدة نكهة جديدة نكاد لا نعرفها لدى شاعر آخر في عصر الشاعر، هذه النكهة تبدو في كلا العنصرين اللغويين الأساسيين: التراكيب والألفاظ مثل كثرة الاستفهامات الإنكارية إلى جانب تكثيف موسيقى النص في

(1) ديوان –عندما يئن العفاف- د.عبدالرحمن العشماوي- مكتبة العبيكان- الرياض- ط2-2003م- ص108

(2) المصدر السابق – ص 109-110

اختيار قافية "القاف" التي أسهمت بدور كبير في نقل حالة القلق المتواصل التي يعيشها الشاعر وحدة الانفعال في مثل قوله مخاطباً مجلس الأمن والنظام العالمي الجديد:

أين النظام العالمي أماله * أثرٌ ألم تنعق به الأبواق؟

أين السلام العالمي لقد بدا * كذب السلام وذاقت الأحداق

يا مجلس الخوف الذي في ظله * كسر الأمان وضيع الميثاق

أو ما يحركك الذي يجري لنا؟ * أو ما يثيرك جرحنا الدفاق؟

يعفى عن الصرب الذين تجبروا * وطغوا، ويفرد بالعقاب عراق

هذا وربك شر مما سمعت به * أذنٌ، وما كتبت به الأوراق

سرج العدالة مال فوق حصانها * ولوى العنان إلى الوراء نفاق (1)

ومن هنا فالفن بأشكاله المختلفة (رؤية) للواقع من خلال الانفعال الذاتي الخاص بالأشياء والأشخاص والأحداث (وتفسير) لهذا الواقع في ذلك الضوء الخاص تعبيراً شعورياً- لا فلسفياً فكرياً.. (2) .

وما قدمنا من نص مثال للواقعية الصحيحة تلك الواقعية الإسلامية التي تصور الواقع في حقيقته دون تزييف أو تضليل، وتتناول الإنسان في حالتي ضعفه وقوته وخيره وشره، وظلم الإنسان لأخيه الإنسان.. إذن فهي الأخذ بالأصل بفطرة الإنسان بتصويره كما هو بجانبيه.

وبهذا الفهم أيضاً نقف عند نص واقعي يصور لنا علاقة الإنسان بربه وبين الناس من خلال التماس النور الذي يضئ دروب الحياة- يقول الشاعر عبد السلام كامل عبد السلام:

(1) المصدر السابق: ص108

(2) منهج الفن الإسلامي- محمد قطب- م الشروق- ص122

والتقينا

في طريق الله سرنا

وعلى الطهر مشينا

كان قلبي ظامئاً للحب قبلا

أي وربي

باحثاً عن نور درب

حائراً أمشي الهوينى

ثمّ لما أشرقت أنوار قلبي

لمحت عيناتي معنى

فيه إيمانٌ وفيه راحة القلب المُعنّى

فيه يشتد فتوني

إن في الطهر فتوتي (1)

إلى أن يقول:

وعلى الله اجتمعنا * وعلى الله افترقنا

وإلى الله سنمشي * في دروب الحب مثنى

(1) عبد السلام كامل عبد السلام ، ديوان سلمى التي أعني، مؤسسة أروقة للثقافة والعلوم- السودان- الخرطوم- ط1-2003- ص34

نزرع الأيام زهراً * ونقيم الدين حصنا

ونعيد الحبَّ أُساً * ويكون الطهر مبنى

ونصوغ الكون خيراً * ونعيش العمر فناً

ونغني نحن بالله اجتمعنا * نحن بالله اجتمعنا (1)

والأدب الإسلامي أدبٌ واقعي حين يعلن ثورته الانقلابية عن كل القيم المنحرفة عن الصراط المستقيم، والوقوف في وجه كل الطواغيت، والعمل على التحرر الوجداني للإنسان المسلم، ذلك التحرر الذي يبدأ من أعماقه لينتهي بالكون (واقعي) حين يصرخ في وجوه القوى المتسلطة التي تعذب الإنسان بالظلم الاجتماعي، وخنق حريته والاستهانة بكرامته وسلب حياته فهو إذن (أدب واقعي). يقول هاشم الرفاعي في قصيدته التي مضمونها توجيه تهمة الخيانة ضد أصحاب الفكر الإسلامي الثائر قائلاً: (2)

أما حكايتنا نحن فمن لون الحكايات القديمة

تلك التي يمضي بها التاريخ دامية أليمة

الحاكم الجبَّار والبطش المسلح والجريمة

وشريعة لم تعترف بالرأي أو شرف الخصومة

ما عاد في تنورها لحضارة الإنسان قيمة

الحر يعرف ما تريد المحكمة

وقضاته سلفاً قد ارتشفوا دمه

(1) المصدر السابق ص14

(2) ديوان – أغنية أم- هاشم الرفاعي- ص391

لا يرتجى دفعاً لبهتان رماه به الطغاة

المجرمون الجالسون على كراسيِّ القضاة

كذبوا وقالوا عن بطولته خيانة

وأمامنا التقرير ينطق بالإدانة

ها الذي قالوه عنه غداً يُردد عن سواه

ما دمتُ أبحث عن أبيٍّ في البلاد ولا أراه..

إذن لا خلاص من شر الطغاة، وهم يتعقبون كل أثر للخير والصلاح والاستقامة في البلاد ويستأصلونه، ماذا يبقى من بعدُ غير الموت أو النفاق؟

هذا الذي كتبوه مذموم المذاق

لم يبق مسموعاً سوى صوت النفاق

صوت الذين يقدسون الفرد من دون الإله

ويسبحون بحمده، ويقدمون له الصلاة (1)

والواقع في الإسلام ينظر إلى الكون بعينين اثنتين، فيرى فيه الجانب المادي مثلما يستشعر فيه الجانب الروحي، ثم لا يفصل بين الجانبين بل يتوحدان في داخله.. وقد تكون المبالغة من وجهة النظر الإسلامية واقعية.. فمن هذه المبالغة الواقعية المبالغة في حب جبل أحد فهو عند المسلم ليس مجرد كتلة صخرية جامدة مهيبة ممتدة على ساحة عريضة من الأرض، ولكنه حياة كاملة لها تاريخها الحافل بعجائب علاقات الأرض بالسماء ويكفي فيه ما قاله الرسول ρ في فضل هذا الجبل: "إنه جبلٌ يحبنا ونحبه" وفي هذا الجانب يقول الشاعر محمد هاشم رشيد:

(1) المصدر السابق: ص391

يا رمز مجد من بلادي انتشر

يا جبلاً يورق فيه الحجر

ويصدح الشوك به والزهر

يا جبلاً أشعر في قربه

بأنني أسكن في قلبه

وأنني أترع من حبّه

كأسي.. والقي الأماني.. في صدره الأرجواني [1]

إن هذا التفجر الخيالي الذي يحدثه في داخلنا تباعد "الإيراق والحجر" و"الشوك والزهر" لا يُعد من قبيل المبالغة والإسراف الخيالي حين يكون الحديث عن جبل أحد ذي السطح الصلد الخالي من أي أثر للخضرة المادية، فالواقع الإسلامي يقول :إن أحداً أزهر في قلوبنا روحانية لا تذبل، وأورق في تاريخنا صفحات من العبر والأحداث سجلها القرآن الكريم والسيرة النبوية المطهرة"[2] .

إن هذا الإيراق ليس مادياً كما يمكن أن يراه واقع العين الواحدة، بل روحي خفي كامن في المادي الظاهر، ولعل تعبير الشاعر بأنه (يسكن في قلبه) يوضح حقيقة التواصل الروحي بين الإنسان المسلم والجبل المسلم.

المبحث الثاني

الواقعية في القصص الإسلامي

القصة وردت في القرآن الكريم، وقد احتفى القرآن الكريم بالقصص حتى أنه أفرد سورة كاملة باسم (القصص)، وقد هدف الإسلام من إيرادها للموعظة

(1) ديوان (في ظلال السماء) محمد هاشم رشيد ، نادي المدينة المنورة الأدبي، 1977

(2) الواقعية الإسلامية في الأدب، أحمد بسام، ص 125

والتربية والتوجيه وأخذ العبرة وهي مع ذلك تفي بمطالب الفن القصصي الخالص[1] .

"وقد استخدم القرآن الكريم –في أغراضه الدينية البحتة- كل أنواع القصة؛ القصة التاريخية الواقعية المقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها. والقصة الواقعية التي تعرض نموذجاً لحالة بشرية، فيستوي أن تكون بأشخاصها الواقعيين أو بأي شخص يتمثل فيه ذلك النموذج والقصة المضروبة للتمثيل، والتي لا تمثل واقعة بذاتها، ولكنها يمكن أن تقع في أية لحظة وأي عصر من العصور"[2] .

ومن هنا جاز للأديب المسلم أن يتخذ من الفن القصصي شكلاً من أشكال الإبداع الأدبي، وقد برع في هذا المجال أدباء إسلاميون يعدون من رواد الفن القصصي الإسلامي من أبرزهم علي أحمد باكثير، وجاء من بعده كثر من أهمهم وأكثرهم عطاءً وإجادة الأديب نجيب الكيلاني. وسوف نقف في هذه العجالة على رائعة من روائعه، مع قصة (عمر يظهر في القدس)، فهي من الآثار الأدبية التي استطاعت أن تأخذ مكانها في عالم الأدب المعاصر، وتبرز سماتها الأصيلة مع تميزها الإسلامي الذي يعبر عن تصور إسلامي واضح، ونهج سليم، وهي في الوقت ذاته تدخل معترك الحياة المعاصرة لتعالج قضايا الواقع، ومشكلات الإنسان من خلال المنظار الإسلامي الصحيح.

وقصص نجيب الكيلاني تجعله رائداً من رواد القصة الإسلامية بموضوعاتها وفنيتها، ووضوحها، وتميزها، ولاسيما في قصصه: نور الله- قاتل حمزة- دم لفطير صهيون- عذراء جاكرتا- عمالقة الشمال.

وهذا الإنتاج الغزير يحتاج إلى أقلام الدارسين لوصفه وتحليله وتقويمه والحكم له أو عليه، بغية وضعه في موضعه المناسب، وتقديره حق قدره، لأنه أدب يساهم في رسم الطريق لمنهج الأدب الإسلامي عامة، وللقصة الإسلامية خاصة.

وقصة (عمر يظهر في القدس) تناول فيها صاحبها موضوعاً طريفاً

(1) انظر كتاب (القصة في القرآن) سيد قطب والتصوير الفني في القرآن
(2) منهج الفن الإسلامي- محمد قطب- ص157

وفريداً، فيه جرأة ووضوح، مما يجعلها وثيقة في هذا العصر.

وهو قد مزج فيها بين الماضي والحاضر في طريقة متميزة وفريدة، حتى وصل بينهما وجعلهما موضوعاً واحداً، باذلاً في ذلك طاقة من الجهد والإبداع والأصالة، مما يجعله أهلاً للدراسة.

وجوهر موضوع القصة يدور حول النكسة التي أصابت العالم العربي، بل العالم الإسلامي عام 1967م. عندما احتلت الصهيونية أراضٍ إسلامية عربية جديدة واستولت على القدس، وداست فيها كرامة الإنسان وشوهت معالم تاريخها المجيد.

في هذا الجو الخانق في مرحلة الضعف والتمزق والذل والقلق بحث الكاتب الإسلامي الكبير نجيب الكيلاني بجدية مخلصة عن الأسباب الحقيقية لكل ما أصاب العالم العربي والإسلامي من أزمات ونكبات، ثم يعطينا في فصلها الأول. صورة عن الأثر الذي تركته هذه النكبة في نفس المسلم [1] "الحقيقة أنني أشعر بحزن ثقيل ينوء به قلبي، وبمرارة عارمة تشبع بها روحي.. ويتملكني يأس معاند، لا يفتأ يطالعني من وقت لآخر.. نحن جيل الضياع والأحزان وسنوات الهوان الطويلة لم تنفجر عن فجرٍ يبدد الظلام والوجوم، وتمادى العدو في طغيانه وعبثه وغروره دون أن نستطيع الثأر منه، يشعرني بعجزٍ قاتل، ويعصف بالأحلام الخضراء.."

وفي هذا الجو الذي يسيطر على العالم العربي والإسلامي يظهر سيدنا عمر ابن الخطاب τ .. على مستوى الأحداث ليكشف للمجتمع العربي والمسلم حقيقة الصراع القائم في عصرنا، ويكشف عن أسباب الهزيمة التي ظلت تخيم على أرض المسلمين، وآخرها هذه الهزيمة.

ومن البداية يؤكد لنا الكاتب ملامح الشخصية المشرقة المؤمنة (شخصية عمر) بعيدة عن الزيف والقلق والخوف والتردد والشعور بالهزيمة والذل "تصدر الكلمات من بين شفتيه قوية رصينة، تفوح منها رائحة الصدق والجلال، بعيدة عن الشكل والريبة، خالصة من كل بهتان" وهذا ما أراده الكاتب بالفعل من

(1) في الأدب الإسلامي المعاصر، محمد حسن – مكتبة الحرمين – الرياض – السعودية- 1980، ص96 وما بعدها.

استلهام التراث في شخصية سيدنا عمر.

وفي أثناء الحوار بين عمر والشخصية التي رافقته، يصور لنا الكاتب على لسان هذه الشخصية عالمنا الإسلامي فيقول: [1] "لك الله يا عمر- لقد أُبطلت الحدود والخمر تباع في كل مكان، والحكام يشربونها في الحفلات العامة وفي بيوتهم، يتساقونها علانية، وكأنهم يتساقون أقداحاً من القهوة، وبيوت الدعارة تأخذ تراخيص من الحكومة، ويحميها القانون، لقد أصبح للفساد قوانين تنظمه وترعاه.."

وبعد سماع عمر لمحدثه ويرى في سلوكه وحديثه صورة لهذا المجتمع يقول: [2]

"الآن عرفت سبب انتصار اليهود عليكم، ونشرهم الفجور بين ظهرانيكم، الخوف يلد الرذيلة والهزيمة تمسخ ضعفاء الإيمان، أنتم جياعٌ برغم رصيدكم الضخم من الزاد، تدقون الأبواب الصلدة في بلهٍ، ولو بحثتم لتفتح أمامكم باب النعيم الأبدي"

ثم يتواصل الحوار إلى أن يظهر عمر في القدس. وقد جعل الكاتب من ظهوره فيها رمزاً لعالمنا العربي والإسلامي الذي يستبيحه المغيرون بصور شتى، وقد أراد أيضاً أن تكون القدس والصورة الدامية التي ظهرت على مسرحها هي صورة لكثير من الحقائق الواقعية الدامية التي تجري هنا وهناك على امتداد العالم الإسلامي كله.

والشخصيات التي ظهرت في القصة هي نماذج من مجتمعنا، فالمسلم المحافظ على قيمه الإسلامية، مهزوم داخلياً، قلق، خائف، مهزوز الفكر، ضعيف الإيمان. ومنهم من تخلى عن قيمه وراح يجري وراء ملذاته، وتفسخت شخصيته وقيمه.. ومنهم من فتنته المادة في عصر العلم فظن أنها كل شيء، فأنكر حقيقة الوجود، وبدأ يفلسف الحياة بطريقة آلية بلهاء، تمسخ الإنسان وتطحنه بين يدي الآلة..

ويمضي الكاتب في سلسلة الأحداث فيصور لنا الفساد الذي جلبه اليهود

(1) المصدر السابق

(2) في الأدب الإسلامي المعاصر- محمد بريقس- ص 97 وما بعدها.

إلى بلادنا من زنا ودعارة وفسق ومجون.. ولكي يقرّب لنا الكاتب صورة المسلم، ويجعلها واقعية، لها كل ملامح الحياة الواقعية الملموسة، ويقصد إزالة الغرابة والخيال عنها لجأ إلى المزج بين واقع العصر ودوافع التاريخ، ومن الطرافة أن يلجأ الكاتب إلى الخيال ليلبسه أثواب الحقيقة عندما استنطق التاريخ في أجلى صورةٍ وأنصع بيان، واستدعى عبر الخيال بعث الشخصية الرائعة التي أعطت أروع مثل عند المسلم، وهي شخصية الخليفة عمر الفاروق τ.

وبعد أن أعطى ملامح الشخصية الإسلامية في إطار هذا العصر من خلال إحياء شخصية عمر –بدأ يستعرض في واقعية صوراً من الأزمة، وألواناً من عذابات الإنسان والحياة في القدس. رمز القداسة والخير، ثم وصف لنا هذا العصر فكشف عن الزيف والخداع والتحريف والفساد والإفساد، ووضع أيدينا على عوراتنا التي فرّخ فيها الفساد.

والقصة في مجملها أرادت أن تصور لنا الواقع وتكشف عن حقائقه المرة، وتحاول أن تخلصنا من الهزيمة والمرض، وتبين أيضاً أن الإسلام قويٌّ بمنطقه وواقعيته وارتباطه بفطرة الإنسان.

والقصة قد فتحت أمام القصص الإسلامي طريقاً مليئة بالثمار والعراقة والفائدة. ومن هنا نخلص إلى أن الواقعية في الأدب الإسلامي لا نريد بها الواقعية المتعارف عليها في المذاهب الغربية التي حصرت الإنسان في حيز ضيق محدود، بل هي الواقع الإنساني الكبير الذي يشمل حياة الإنسان كلها طولاً وعرضاً وعمقاً، وزماناً ومكاناً، كما أن الإسلام يرى الواقع بمنظار أعم وأشمل وهو الأصدق في نقل الواقع البشري وكل ما يحدث في حياة بني الإنسان من تطورات اجتماعية واقتصادية وسياسية وفكرية وروحية، وتصوير هذا الواقع يراعي مكانة الفرد في الحياة البشرية، ولا يهمل واقع الجماعة، كما يراعي جوانب القوة والضعف في حياة الإنسان، فلا يهمل هذه على حساب تلك[1] .وتلك هي الواقعية الحقة التي ترسم صورة الإنسان الحقيقية. "والأدب الإسلامي حين يصور ذلك، لا يرسم صورة مزورة للبشرية، بل صورة واقعية، عميقة.. تشمل

(1) منهج الفن الإسلامي – محمد قطب- ص92

الإنسان في جميع حالاته وجميع آفاقه، ولكنها لا تسلط الضوء على الشر وتجعل منه فضيلة.. ولا تسلط النور على الضعف وتجعل منه بطولة، ولا تغفل الجوانب العليا من الإنسان"[1] .

كما أنه أي الأدب الإسلامي في واقعيته "يرسم ما في الفرد من نقائص وعيوب وضعف وخسة وهبوط، ولكن على أساس أنها شر، وعلى أنها نقائص، لا على أساس أنها واقع وضربة لازب لا محيد عنها، ولا أمل في الفكاك منها، أو الارتفاع عليها"[2].

ولكل هذا، فالواقعية في الأدب إسلامي نقلٌ للحقيقة لا الزيف، والاستقامة لا الانحراف، فللوجود عند المسلم غاية وللحياة في الإسلام قيمة.. قال تعالى: چے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ چ [3].

والإطار الفني الإسلامي إطارٌ كوني ملتزم، إنساني إيماني، وثوري توحيديٌ وأخلاقي إيجابي.

المبحث الثالث

الواقعية في المسرح الإسلامي

قد عرفنا من كتاب "منهج الفن الإسلامي" للأستاذ محمد قطب، ومن التعريف الذي ارتضاه النقاد الإسلاميون واتفقوا عليه في تعريف الأدب الإسلامي "بأنه تعبير فني عن الكون والإنسان والحياة والطبيعة من خلال تصورات إسلامية" ومن هنا جاء دور التجربة البشرية تاريخية كانت أو أسطورية، فردية أو جماعية. "ولا ننكر أن الأدب نقد وجبيرة للحياة، ونلتزم أيضاً بالتصورات الإسلامية، وبالنور الإلهي الذي يكشف الطريق الصحيح أمام أقلامنا وأفكارنا وسلوكنا العملي، والذي يقودنا إلى الحق والخير والجمال.." [4]

.

(1) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، 163

(2) من قضايا الأدب الإسلامي- صالح بيلو، دار المنار- جدة – السعودية- ط1- 1985-ص78

(3) المؤمنون: الآية 115

(4) الإسلامية والمذاهب الأدبية – د.نجيب الكيلاني- مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان- ط 2- 1401هـ- 1981م، ص9

وإذا كان الفن عارياً من الصدق فقد تهدمت دعامة كبرى من دعائمه، فتنهار كل مقوماته، ويفقد أغلى قيمه يبنى عليها أي فن من الفنون، ويصبح تعبيراً زائفاً عن النفس والحياة وتزويراً لواقع عاشته أو تعيشه البشرية.

والفن بلا مضمون خواء وفراغ، إن الأكواب الفارغة لا تروي ظمأ، والثمرة العفنة لا تستسيغها النفس، والعشوائية في أي شيء سذاجة وجنون، فلا بد للفن إذن من مضمون، ودعامة هذا المضمون أفكار وفلسفات مستمدة من واقع البشر الذي يتطابق حتماً مع واقعية الدين النظيف، المبرأ من الشوائب وهوى المفكرين المنحرفين.

ومعروف أن مادة الفن هي الحياة والنفس الإنسانية، ومقوماته هي الصدق والأصالة الفنية والمضامين السليمة[1] .

وغاية الفن الإشباع والفائدة والتحريض على بناء مجتمع أفضل.. وغاية الدين لا تخرج عن إسعاد البشرية واستمتاعها بحياتها، وسيطرة المثل الفاضلة على علاقات البشر والدول والحكام، والتنفير من المظالم والانحرافات والعمل على هدمها.

وقد مرّ في تاريخ أمتنا الإسلامية كثير من القصص والمشاهد والأحداث الجسام وعديد من المبادئ والمثل والقيم الخالدة التي تعرض لها القرآن في آياته وتمثلها رجاله من الأقوياء العظام أمثال الإمام أحمد بن حنبل الذي اتخذه الأديب الإسلامي الكبير علي أحمد باكثير بطلاً لتمثيلية ومسرحية قصيرة جداً متخذاً موقفه في قضية (خلق القرآن) موضوعاً لهذه المسرحية. التي جاءت بعنوان (إمام عظيم).

وجاءت المسرحية في مشهدين- المشهد الأول: "مجلس الخليفة المتوكل" وعنده خواص أصحابه- ثم يدخل عليه الحاجب (يعقوب) الذي يخبر الخليفة بإحضار أحمد بن أبي داود ثم يدور حوار قوي وعنيف بين أبي داوود والمتوكل – يقول أبو داود:

السلام عليك يا أمير المؤمنين.

المتوكل: وعلى غيرك السلام- هيه يا ابن أبي داود- هل لك أن تحدثنا عما

(1) المصدر السابق، ص14

فعلتموه بأحمد بن حنبل؟

ثم يستمر الحوار ويحاول ابن أبي داود أن يحمي نفسه من أن هذا الأمر وراءه الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق. وفي أثناء الحوار يقول: ابن أبي داود في ردّه على الخليفة المتوكل: كانت سياسة الدولة يا أمير المؤمنين تقتضي ذلك.

- المتوكل: أي دولة تعني؟ دولتنا أم دولة خصومنا العلويين.

- ابن أبي داود: بل دولتكم يا آل عباس.

- المتوكل: أفلم يكن المأمون من الساعين في هدمها، ألم يرد أن ينزعها من أيدينا ليجعلها لابن أبي طالب.

– ابن أبي داود: إنك تعلم يا أمير المؤمنين، ألا يد لي في تلك السياسة.

- المتوكل: فإني لن أعاقبك عليها، ولكني سأعاقبك على ما ظلمت هذا الإمام الجليل وعرضته للعذاب طوال حكم المأمون عمي، والمعتصم أبي، والواثق أخي. ثم ينهي المشهد الأول باستجداء القاضي للخليفة المتوكل ألا يجرده من أمواله كلها بل يبقي منها شيئاً لأولاده مع طلبه العفو من أمير المؤمنين.

ثم يجئ المشهد الثاني بدخول الحاجب الذي يخبر الخليفة بقدوم الإمام العظيم أحمد بن حنبل قائلاً: يا أمير المؤمنين: هذا أحمد بن حنبل قد وصل.

المتوكل، أهلا به فليدخل..

وبعد فترة قصيرة (يدخل الإمام أحمد بن حنبل فيقفوا له الخليفة وجلساؤه إعظاماً، ثم يجلسه المتوكل إلى جانبه)

ثم يرحب به ويعاتبه عتاباً لطيفاً في أنه يكره أن يغشى مجلس الخليفة ثم يرد عليه الإمام برد ذكي ولطيف: "إنما أكره أن أجيئك لغير حاجة يا أمير المؤمنين حتى لا أشغلك من ذوي الحاجات من رعيتك" ثم يدور الحوار بين الخليفة والإمام أحمد بن حنبل ثم يطلب منه السماح في أنه شق عليه بالحضور من بغداد إلى سامراء ثم يطلب منه السماح عمن ظلموه من خلفاء بني العباس فيسامحهم جميعاً وقد سامح ابن أبي داود أيضاً وعفا عنه قائلاً:

وهو يرفع يديه مبتهلاً: اللهم اغفر لابن أبي داود، اللهم تب عليه.

ثم يقول المتوكل: وتدعو له يا أبا عبد الله؟ تدعو للعصاة المجرمين؟

- أحمد: (ماضياً في دعائه) اللهم إني قبلت عن عصاة محمد ρ فداءً فاجعلني لهم فداء. (يستولى على الحاضرين خشوع عميق، وتندي عيونهم بالدمع، ويسود بينهم الصمت برهة..)

وفي ختام المسرحية يطلب من هذا الإمام العظيم أن يعظه قائلاً:

- عظني يا أبا عبد الله قبل أن ترحل عني.. عظني موعظة أحفظها عنك ما حييت.

- ثم يرد عليه الإمام: يا عبد الله.. السفر قريب، والطريق طويل، والزاد قليل.

ثم يسدل الستار والمتوكل (يتمتم باكياًُ) يا عبد الله السفر قريب، والطريق طويل، والزاد قليل.

والأستاذ علي أحمد باكثير "معروف بقصصه ومسرحياته التاريخية، ويبدي في كتاباته مدى ما يكنه للتاريخ العربي والإسلامي من تقدير وإجلال، كما يبدو في إيمانه الشديد بأعلامه الأفذاذ وإيجابيتهم والدور الخطير الذي قاموا به في مجالات الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي.. [1] .

وفي هذه المسرحية يضرب لنا المثل الأكبر في الاستمساك بالحق والدفاع عنه وأن نتحمل في سبيله كل عذاب واضطهاد و؟؟، وقد تعلمنا منها النضال عن العقيدة فلم يثنه اضطهاد ولا صرفه تهديد أو وعيد. وقد امتحنه الله تعالى بموقفه المضاد لموقف ثلاثة خلفاء عباسيين، فجهر برأيه وخالف هؤلاء عندما رأى أن الحق معه- ودفع في سبيل ذلك حريته وصحته فضرب وسجن واضطهد ومع هذا فقد ظل متمسكاً بموقفه. ولم يستطع القاضي ابن أبي داود أن يسحق حرية الكلمة، أو تطفي الشعلة القاهرة التي أمدها ابن حنبل بطاقته وروحه وكيانه.

وعندما نصره الله على يدي الخليفة المتوكل لم يفكر في الانتقام من الذين ظلموه بل تمنى أن يكون فداء لكل أمة محمد.

"وعندما تحقق له النصر، لم يكن ليفكر في الانتقام من أحد حتى أولئك الذين شهروا به أو ألهبوا جسده بالسياط، أو قذفوا به في أعماق السجن وحاربوه في أرزاقه وبنشر رسالته العلمية والثقافية.

(1) المصدر السابق : ص158

.. وفي هذه المسرحية القصيرة يصور لنا الأستاذ باكثير فصلا من النهاية فترة الانتصار الرائع بالنسبة لأحمد بن حنبل؛ ولحظة الهزيمة المذهلة التي ابتلي بها ابن أبي داود، وصورة فاضلة لخليفة من الخلفاء انصاع للحق، وفتح قلبه للنور، ومنظر الدموع المترقرقة في عيون الرجال، وهم يستمعون لكلمات فاضلة من رجل فاضل، يهتف في صدق وحرارة: "يا أبا عبد الله.. السفر قريب والطريق طويل، والزاد قليل".

وهذا التمثيلية مع قصرها فقد أكدت لنا ارتباط الدين بالفن، وقد شكل الدين المثل العليا فصار هو الحياة. التي ارتبط الدين فيها بالمثل والمبادئ في واقع الناس. فلم يكن الدين عند ابن حنبل قيداً يحدُ من الحرية والانطلاق بقدر ما أنه كان طريقاً للتحرر والانعتاق.

ومن فوائد هذه المسرحية أيضاً: علمتنا أن الدين استطاع أن يكون فكرة عن الحياة وأساليبها والمبادئ التي تسودها، ومن هنا كان من الطبيعي أن يكون التاريخ الإسلامي هو المورد الذي رشفت منه العقول والعواطف.

ومجمل القول ففي هذه المسرحية التقى الدين مع الفن، نتيجة لاتفاقهما في الهدف وتقاربهما في الوسيلة، كما نادى بذلك الدكتور (نجيب الكيلاني) في كتابه الإسلام والمذاهب الأدبية.

الخاتمة

في هذا البحث قد تم تناول الواقعية الإسلامية في النقد الأدبي، لأنها تمثل ظاهرة موضوعية وفنية، أبرز الباحث عبرها موضوعات الأدب الإسلامي وأهم قضاياه، مع ذكر بعض النماذج للإبداع الأدبي وفق المنظور الإسلامي ، وحاولت هذه الدراسة أن تغطي أكثر أجناس الأدب شيوعاً كالشعر والقصة والمسرحية، حتى تحقق الخصوصية الإسلامية للإبداع الأدبي والفني.

وقد توصل الباحث إلى بعض النتائج والتوصيات.

أولاً : النتائج :

- الواقعية في الأدب الإسلامي تختلف اختلافاً جوهرياً عن الواقعية الأوربية.
- الأديب الإسلامي ينقل الواقع المعيش دون تزييف أو خداع.
- إن الإسلام دين الفن والجمال فهو لا يحدّ من إبداع الأديب كما يدعي بعض النقاد المنحرفين.
- الأدب الإسلامي قادر على استيعاب كل أساسيات ومقومات أسس البناء الفني لكل جنس أدبي .

ثانياً : التوصيات :

- ضرورة الاهتمام بالبحث النقدي في مجال النصوص الأدبية في القديم والحديث.
- عقد ندوات وإقامة محاضرات تطرح فيها أبرز القضايا التي تناولها النص الأدبي الإسلامي .
- إدخال نماذج من الأدب الإسلامي مختارة بعناية في مناهج التعليم العام.
- الدعوة إلى دراسات جادة تبرز جماليات الفن الإسلامي.
- الاستفادة من التقنيات الحديثة ووسائل الإعلام في نشر الأدب الإسلامي .